

جان مارك نحاس: كوابيس بيروت 06

«طيور» هيتشكوك تقلب بيت زيكو «راساً على عقب»

حسين بن حمزة

معرض جان مارك نحاس الذي يفتتح هذا المساء في بيروت، بدعوة من «جمعية أمم للتوثيق والأبحاث»، يجمع بين اللوحة والتجهيز. ويعكس رؤيا كابوسية للواقع انطلاقاً من هاجس الحرب. زيارة، خلال تعليق الأعمال، إلى الفنان الذي يرفض العنف بكل أشكاله

الداخل إلى تجهيز جان مارك نحاس الذي يفتتح مساء اليوم في بيروت («زيكو هاوس»)، سيجد نفسه وجهاً لوجه مع كوابيس ليست سوى مرآة خوف جماعي، يختم اليوم على المدينة الرابضة عند فوهة بركان سيري الزائر هواجسه ومخاوفه وقد تحولت إلى لوحات وأشكال تغلفها إضاءة شحمة وظلمة، على خلفية الشريط الصوتي لفيلم هيتشكوك الشهير «الطيور».

ارتجل الفنان اللبناني لوحاته بالخط والحبر، وما يمكن أن ينتج من خلطهما بمواد أولية أخرى هناك تكشف شديد في الألوان، مصلحة رؤيا ذاتية تناسب المزاج العصبي والتلقائي للرسام، إذ يلجا جان مارك نحاس إلى تجزئة غير منتظمة لمساحة اللوحة إلى عشرات الكادرات الصغيرة، يقطع لوحته إلى لوحات متجاوزة ومتزاخمة، ويرسم داخل كل إطار ما يصلح لأن يكون لوحة بحد ذاتها، التجاور الذي يبدو كأنه نتاج عنف داخلي وتشكيلي.

هذا التجهيز يمثل هواجسي واحساسي بالعجز خلال العدوان الاسرائيلي الأخير على لبنان. أقول بصراحة: انني خائف من الحرب

يكشف عن طاقة خفية موزعة في الأشكال والأعمال المصغرة داخل اللوحة الكبرى. إنها لوحات داخل اللوحة كما يقال، عادة، مسرح داخل المسرح ثم تأتي الطيور الخرافية، والكائنات المخيفة المتدلية من السقف، وسؤرات هيتشكوك والإضاءة الكابوسية، لتضع اللوحات في فضاء

الموعد المجهض مع «الهنغار» و... الضاحية الجنوبية

الغارات على الضاحية الجنوبية، خلال شهر تموز (يوليو) 2006 هكذا أجهض موعد جان مارك نحاس مع الضاحية الجنوبية، وانتقل معرضه إلى شارع سميرز حيث يستمر حتى 16 الجاري، ويوضح الفنان أنه كان متسوقاً للمعرض في الغيبري، معتبراً أنها كانت لتكون عودة رمزية إلى ذلك الحرف الذي احتضن طفولته البعيدة، في محطة برج المراجعة، حيث كانت صيدلية أهله. ولعل هذا الانتقال القسري إلى مكان ليس بعيد عن شارع الحمراء، حيث أقام جان مارك بعض معارضه التقليدية، بشكل خيبة إنسانية للفنان المسكون بهاجس الحرب والبحث عن الزمن المفقود.

«راساً على عقب»، كما تحدد الدعوة إلى الافتتاح هذا المساء، في «زيكو هاوس»، هو «معرض/مشارة» بلام بوزارة من جمعية «أمم للتوثيق والأبحاث»، والجمعية المذكورة التي يديرها الثنائي مونيكا بورغمان والفنان سليم، تعنى بالعمل على ذكرى الحرب اللبنانية (بشئ وثائقها وموادها)، وأرشفتها ودرستها كما تتولى تنظيم مختلف النشاطات الثقافية التي تدور في ذلك الحروب الأهلية، وكان مخططاً لمعرض جان مارك نحاس أن يقام في «الهنغار»، حيث مركز الجمعية والفضاء، الذي يحتضن نشاطاتها، لكن الطائرات الإسرائيلية شامت غير ذلك، إذ أصيبت مكاتب «أمم» و«الهنغار» في الغيبري بأضرار خلال

جان مارك نحاس



طاقة خفية موزعة عن الأعمال المصغرة داخل اللوحة الكبرى (بالخامش)

انطلاقاً من هاجس العنف، يكتبي بعداً استثنائياً. والواقع أن العناصر المكونة لـ «راساً على عقب» تنجح في تمثيل الصورة، أو الحالة التي يامل جان مارك إيصالها إلى الجمهور، وسيكون على زوار المعرض، وهم يتجولون في مساحته الضيقة، أن يتلامسوا أو يصطدموا بالطيور المخيفة المتدلية من السقف، كما أن الإضاءة الخافتة، والمؤثرات الصوتية الهيتشكوكية، ستضاعف من الإحساس الكابوسي الضامع الذي يحاول المعرض أن ينفذ عدوامويينظر الفنان إلى ما ينجزه كنوع من العلاج، والتطهر الذاتي من مرض يعرف مسبقاً أن لا شفاء منه، إذ كيف تطرد من حياتك تلك الأشباح في بلد الحروب الدائمة؟ لا أريد لأحد أن يتالم بعد الآن»، يقول جان مارك الذي هاجر إلى كندا هرباً من العنف بين 1989 و1995، ويضيف: «هذا التجهيز يمثل إحساسي بالعجز والضيق خلال الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان، إنه صورة عن هواجسي وذكرياتي التي أريد أن أعرضها للجمهور».

أقول بوضوح وبساطة: أنا خائف من الحرب».

صاحب جدارية Beirut mon amour عاش الحرب الأهلية ككل الناس، لكنه يريد أن يمحوها من ذاكرته، وهو يريد لأعماله أن تكشف مدى التأثير الذي مارسه العنف على ثقنياته

التجهيز المسعروض تحت عنوان «راساً على عقب».

لماذا هذا العنوان؟ يعترف نحاس بأنه كان شاهداً على حرب طويلة وكوارث صاحبها وثقتها. المعرض إشارة إلى أن لبنان كتب عليه أن يستأنف حروبه وكوارثه من المفترض أن يوثق المعرض لرعب صيف 2006، لكنه في العمق يوثق لكل الحروب ودورات العنف التي عاشها لبنان لا يتحدث نحاس عن فكرة النصر والهزيمة فهو يقر، في حرب تموز (يوليو) الأخيرة، بالعمل المطولي لمجموعة مقاتلين يواجهون الجيش الإسرائيلي، لكنه يتحدث عن مشاعر الناس العاديين، عن خوفهم الطبيعي، عن تفكيرهم الدائم بالهجرة، عن ياسهم الذي يصنعه العنف المتكرر، ما يهمه هو إخراج الخوف والذعر والكوابيس من احتشائه وعرضها في لوحاته، البطولة الحقيقية بالنسبة إليه هي أن تعترف بانك خائف ومدعور من الحرب.

يقول نحاس: «المعرض ليس ابن هذه اللحظة الكابوسية والمتوترة التي نعيشها كمثل نوحجي عن ديمومة حالتنا، بدأت التحضير له قبل سنتين». إنه سيرة للعنف كما شاهدته وخبرته على مدى سنين طويلة لكن الواقع استلحق المعرض، وأعطاء معناه الراسخ، وإذا بعملتي طوال تلك الأسهر،

الفنية، وافكاره، وبنبرته التشكيلية وأن توصل، في الوقت نفسه، موقفه الراض للعنف بكل أشكاله، ويعترف جان مارك بأنه حاول خلال السنوات الماضية أن يأخذ «نقاها»، ويتعد عن موضوعات الحرب والقتل والعنف. لكنه يجد نفسه كل مرة أمام المشاغل ذاتها التي تلح عليه يوماً: «أشعر بانني أعيش هواجس متكررة، والمعرض محاولة للاعتراض على هذا التكرار، الأشبه بالقدر وبالمكتوب الذي ليس من برده».

بهذا المعنى، يمكن التعامل مع تجهيز «راساً على عقب» على أنه مجرد لحظة في فيلم طويل ليس الرسام سوى بطله وضحيقه في أن لقد سبق لنحاس أن روى الحرب في أعماله، ولا بد من أن نذكر أنه قال في ذات يوم: «كلما أنجزت عملاً له علاقة بذاكرة الحرب، اكتشفت أنني أتحدث عن نفسي».

لا يشعر جان مارك نحاس بأنه ينتمي إلى جيل فني في لبنان لكنه يعترف بالأهمية الهائلة لأعمال سمير خداج المقدم في باريس، قدم خداج أخيراً أكثر من عمل في بيروت، بينها «برج بابل» الذي عُرض في أربعة أمكنة مختلفة، نحاس الذي شاركه في واحد منها، لا يخفي تأثره بخداج، وميله التجهيزي إليه، وإعجابيه الشديد بهذا الفنان الذي يلف على حدة فوق الخريطة التشكيلية العربية.